بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاة والسلام على سيد المرسلين نبينا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين،، أما بعد:

فمما لاشك فيه أن مهمة الحفاظ على قيم الأمة وهويتها موكولة إلى علمائها، فاجتماعهم وتعاونهم على الحفاظ على دين الأمة،وكتابها وسنة نبيها صمام أمان يحمي الأمة من التشتت والانشقاق، وذهاب الريح، وتسلط العداء ، وفقدان الهوية.

ومن هنا كان الهدف العام لهذا المؤتمر في محله حيث يهدف إلى "بيان مكانة العلماء وأثرهم في جمع كلمة الأمة، ومعالجة قضاياها الكبرى، والتصدي لمحاولة زعزعتها عقديا وفكريا وسياسيا وأمنيا واجتماعيا.."

أما هذه الورقة فتأتي في سياق محور: (**العلماء وقضايا الأمة المعاصرة**) مركزة على موضوع: (**ظاهرة الإسلاموفوبيا والاستلاب الثقافي**)

وينقسم البحث في هذا الموضوع -كما هو ظاهر - إلى مبحثين :

المبحث الأول: يتناول بالدراسة والتحليل " ظاهرة الإسلاموفوبيا"

بينما يعنى **المبحث الثاني** بدراسة "ظاهرة الاستلاب الثقافي"

المبحث الأول: ظاهرة الإسلاموفوبيا

- **تعريف الإسلاموفوبيا.**
- **نشأة الإسلاموفوبيا.**
- **أسباب ظهور الإسلاموفوبيا.**
- **مظاهر الإسلاموفوبيا**

كلمة "إسلاموفوبيا" *Islamophobia* المنقولة عن اللفظ اللاتيني مكتوبًا بحروف عربية، تنطوي على معنى أنها ظاهرة مرضية، تعني الخوف من الإسلام، نتيجة عمليةِ تخويف صنعت صنعا لتكون أداة تحقق أغراضا محددة.

ويستمد هذا المفهوم من" الفوبيا" إحدى أعراض الأمراض النفسية ، وهي حالة من حالات الوسواس القهري حين لا يستطيع المريض التحكم في ردود أفعاله عند تعرضه للمثير الذي يسبب له الخوف والرهاب النفسي.

لوحظ استخدام هذا المصطلح منذ عام 1976 لكن استعماله بقي نادراً في الثمانينات وبداية التسعينات من القرن العشرين .ثم انتشر المصطلح انتشراً سريعاً بعد هجمات الحادي عشر من سبتمبر/أيلول عام 2001

وأول محاولة لتعريف هذا المصطلح ترجع إلى عام 1997عندما حدد البريطاني *رونيميد تروست* (Runnymede Trust) في تقريره عن الإسلاموفوبيا باعتباره تحد لنا جميعا" وتوصل إلى أنه يعني:" الخوف أو الكراهية تجاه كل أو معظم المسلمين."*Islamophobia: Challenge for Us All* "

وأول من استعمل اللفظ من الكتّاب الفرنسيّين ماليه إميل Mallet Emile في مقال بعنوان "ثقافة ووحشية" نشره في جريدة Le Monde

الفرنسية سنة 1994، إذ تحدّث عن "صنف من الإسلاموفوبيا الزّاحفة". [1]

إن ظاهرة الإسلاموفوبيا ترتبط بتنامي المشاعر السلبية تجاه الإسلام والمسلمين في المجتمعات الغربية وتشكيل هذه المشاعر أسسا لانطلاق سلوكيات غربية مجحفة بحقوق الأطراف المسلمة .

وعلى المستوى الفكري ترتبط هذه الظاهرة بنظرة اختزالية للإسلام كدين وكثقافة في تصور الإسلام كمجموعة محدودة وجامدة من العقائد التي تحض على العنف والرجعية والنظرة السلبية للآخر، وترفض العقلانية والمنطق وحقوق الإنسان، وهي معتقدات يؤكد المصابون بالإسلاموفوبيا أنها انعكاس مباشر لرسالة الإسلام نفسها.

وانطلاقا من الرؤى السابقة يرى المصابون بالإسلاموفوبيا أن العداء للإسلام والمسلمين والتحيز ضدهم أمر طبيعي ورد فعل تلقائي على طبيعة المسلمين الشريرة، لذا فهم يساندون التمييز ضد المسلمين وحشد قوى الغرب في حرب ضد الإسلام وأتباعه.

وعلى هذا نستطيع أن نقرر أن مصطلح "الإسلاموفوبيا" يعني:

" **ممارسة التخويف من الإسلام والمنسوبين إليه، كأداة لتحقيق أغراض محددة أبرزها الحد من انتشار الإسلام في المجتمعات الغربية.**"

---

(1) انظر: صهيب بن الشيخ، في كتابه ***Marianne et le Prophète*** ص:171 الذي خصص بابا من أبوابه للحديث عن هذا المصطلح. éd. Grasset, Paris 1998

ومن الجدير بالذكر أن هذا المصطلح قد اكتسب رخما كبيرا في الأوساط العلمية والبحثية والإعلامية على نحو لم يعهد لكثير من المصطلحات المعبرة عن علاقات الأمم ببعضها، فمن خلال مراجعة سريعة لتكرار ظهور مصطلح الإسلاموفوبيا في بعض أشهر الصحف الغربية تنكشف الزيادة المطردة في استخدامه خلال السنوات الأخيرة بشكل عام، وفي عام 2010 بشكل خاص.

مع العلم بأن استخدام وسائل الإعلام الغربية لمصطلح الإسلاموفوبيا يرتبط عادة بظواهر عدة مثل:

1- وقوع أو إحباط عمليات إرهابية تستهدف المجتمعات الغربية، مما يثير تساؤل الغربيين حول وجود توجهات معادية للغرب وسط الأقليات المسلمة بالبلدان الغربية.

2- ويرتبط ظهور المصطلح في آونة أخرى بالجدل الدائر داخل المجتمعات الغربية ذاتها حول طبيعة تلك المجتمعات وهوياتها ومواقف النخب السياسية الغربية من تلك القضايا، وما إذا كانت مشاريع النخب الغربية اليسارية المنادية بالتعددية والانفتاح الثقافي على المهاجرين والأقليات هي مشاريع مفيدة للغرب أم إنها أضرت به ،كما يرى أصحاب التوجهات اليمينية المنادية بالعودة إلى التراث الثقافي التقليدي للغرب.

3- كما ارتبط استخدام المصطلح بردود أفعال العالم الإسلامي تجاه بعض الإساءات التي تعرض لها الإسلام من قبل شخصيات ومؤسسات غربية مختلفة ،كما حدث ردا على الرسومات الدانمركية المسيئة إلى الرسول صلى الله عليه وآله وسلم في أوائل 2006 ، وردا على تصريحات بابا الفاتيكان في حق الإسلام آنذاك.

والجدول التالي يرصد عدد مرات ظهور المصطلح في بعض أكثر الجرائد البريطانية والأمريكية شهرة ونفوذا اعتمادا على دائرة البحث الإلكترونية الأمريكية Lexis Nexis:

الصحف	2010	2009	2008	2007	2006	2005	2004	2003	2002	2001
تايمز	120	100	121	101	92	44	34	13	12	12
غارديان	55	30	40	45	38	44	50	20	29	14
إندبندنت	40	28	44	35	30	42	37	11	15	22
تورنتو ستار	39	20	40	33	38	18	11	1	3	3
نيويورك تايمزUSA	23	10	15	11	10	4	7	3	2	2
واشنطن بوست USA	15	6	14	7	5	5	2	2	3	2
الإجمالي	292	194	274	232	213	157	141	50	64	55

قراءات في أسباب ظهور الإسلاموفوبيا:

هناك قراءات متعددة لأسباب صعود ظاهرة الإسلاموفوبيا في الآونة الأخيرة:

1. منها قراءة ثقافية ترى أن صعود الإسلاموفوبيا هو انعكاس لمشاعر سلبية عميقة مدفونة في وعي المواطن الغربي ضد الإسلام والمسلمين، وتعبير عن تحيز تاريخي وثقافي ضد الإسلام كدين وضد المسلمين وحضارتهم.
2. وقراءة ترى أن ظاهرة الإسلاموفوبيا هي نتاج لبعض الأحداث الدولية التي أثرت بقوة على العلاقات بين العالم الإسلامي والمجتمعات الغربية في السنوات الأخيرة، وعلى رأس هذه الأحداث هجمات الحادي عشر من سبتمبر/أيلول 2001 الإرهابية، وما تبعها من هجمات إرهابية – رفع مرتكبوها شعارات إسلامية – ضربت مجتمعات غربية مختلفة مثل إسبانيا وبريطانيا .
3. وهناك قراءة تحمل أصحاب المصالح المسئولية الكبرى، في انفصام عرى السلم بين الغرب والعالم الإسلامي، وفي تأجيج نيران العداء بين الطرفين، مستخدمين وسائل الإعلام بشكل يثير الاشمئزاز ،حيث يتلقفون الدعوات المتطرفة – حتى وإن كانت صادرة عن فرد أو مجموعة هزيلة مجهولة– ويعملون على تضخيمها وإبرازها إعلاميًّا.

فنجد تصريحات متواترة :هذه من مسئول التنظيم في بلاد الشام، وتلك منسوبة لزعيم تنظيم آخر في بلاد المغرب العربي، وأخرى على لسان "أمير" الجماعة في شرق أوربا، وهكذا باستمرار حتى يتسرب الفزع إلى قلوب كل أسرة غربية من الخطر القادم من العالم الإسلامي لسحقهم، فيسارعوا بالارتماء في أحضان حكوماتهم ليفوضوها بالتصدي لهذا الخطر الداهم!

4. وقراءة أخرى تؤكد أن مناهج دراسة الإسلام في الغرب بدأت متأثرة بالتراث التنصيري الاستشراقي ، ومحملة بتحيزاته وأهدافه في تشويه صورة الإسلام والمسلمين، ولا تزال هذه المناهج تحمل قدرا كبيرا من تلك الآثار.[1]
5. وقراءة أخرى تركز على إشكاليات التجاذب بين التهميش والاندماج التي يواجهها مهاجرو الجيل الثاني من مسلمي أوروبا، وترى أن قضية الاندماج صارت تشغل مساحة كبيرة في أجندة اهتمامات رجال السياسة والاجتماع، خاصة بعدما تبين أن هناك شعورا سائدا بين الأوروبيين بأن جوهر هويتهم وثقافتهم وتقاليدهم يواجه تهديدا من قبل المهاجرين وثقافتهم المغايرة. غير أن المهاجرين، من جهة أخرى، يشعرون بأنهم بقعة من الزيت غير قابلة للذوبان في المحيط الاجتماعي من حولهم.
6. وهناك قراءة سياسية اجتماعية ترى أن صعود الإسلاموفوبيا خلال السنوات الأخيرة انعكاس لبعض التغيرات المجتمعية الكبرى التي لحقت بالمجتمعات الغربية والإسلامية على حد سواء خلال العقود الأخيرة، وعلى رأس هذه التحولات تراجع قوى اليسار الغربي التقليدية التي سادت خلال النصف الثاني من القرن العشرين، وصعود قوى اليمين الثقافي والديني في الغرب، في مواجهة صحوة إسلامية كبرى عمت العالم الإسلامي خلال الفترة ذاتها، إضافة إلى تنامي عدد المسلمين في الغرب، فقد رصد مركز "بيو" الأمريكي المتخصص في أبحاث الدين والسكان في العالم أن الإسلام هو الدين الأسرع نموًّا في أوربا؛ حيث تضاعف عدد المسلمين في القارة الأوربية ثلاث مرات خلال السنوات الـ 30 الماضية، وأرجع المركز ذلك إلى ارتفاع معدلات الهجرة، إضافة إلى زيادة أعداد المواليد في الأسر المسلمة المهاجرة،[2] وأغفل ذكر نسبة كبيرة من الأوروبيين اعتقوا الإسلام في السنوات الأخيرة.

---

(1) د. محمد وقيع الله أحمد الإسلام في المناهج الغربية المعاصرة "عرض ونقد"ص35 ط1 2006م فائز بجائزة نايف للدراسات الإسلامية المعاصرة.

(2) مركز بيو لأبحاث الدين والسكان بواشنطن.

والحق أن المجتمع الأوروبي – في معظمه– لما وجد أن نسبةً لا بأس بها من الشَّعب الأمريكي والأوروبي بدا يكتشف حقيقةَ الإسلام، كدين سماوي، وأخذَ يدخل الإسلام جماعات ووحدانًا، شَعَرَ بالخطر من أن يصلَ هذا الدين إلى أبوابه الداخليَّة، فكان عليه أن يجدَ أي وسيلة توقف زحفه على أراضيه، فلم يجد وسيلة أنجع من وصف الإسلام بالإرهاب، كوسيلة دفاعية وقائيَّة لوقف انتشار هذا الدين.

وهذه القراءة الأخيرة والتي قبلها– رغم دقة القراءات الأخرى– تمثلان أسلوبا أكثر ديناميكية لفهم أسباب صعود ظاهرة الإسلاموفوبيا في المجتمعات الغربية خلال العقود الأخيرة، وتؤكد أن لكل من المسلمين والغرب دورا في التأثير على تفاقم تلك الظاهرة الخطيرة، وهي حالة أقرب ما تكون إلى مفهوم صراع الحضارات الذي عززه وروج له هانتنغتون وتلقفته دعايات الميديا الغربية من السينما والتلفزيون والصحافة.

وعليه سوف يكون حديثنا في السطور التالية محاولة لإظهار مسئولية كل طرف عن تصاعد هذه الظاهرة.

أولا: مسئولية بعض المسلمين في ظهور الإسلاموفوبيا:

من الإنصاف أن نسلم بأن بعض التصرفات الغير المسئولة من بعض المسلمين ساعدت على ظهور ونمو الإسلاموفوبيا، أو على تفاقمها، ولعل أشهر تلك التصرفات تبني بعضهم الهجوم بالطائرات المخطوفة على مركز التجارة العالمي بنيويورك في 11 سبتمبر 2001 ،بالإضافة إلى مهاجمة السياح والصحفيين والمراسلين الأجانب وخطفهم وقتلهم، أو طلب فدية لإطلاق سراحهم، وتصوير مشاهد مقززة لعملية ذبح الرهائن ، وعرض تلك المشاهد على الإنترنت، مع الحرص على إعلان الهوية الإسلامية للفاعلين من خلال بياناتهم المقروءة والكتابات المعلقة بخلفية المشهد، واستخدام السيارات المفخخة لتدمير المنشئات، واللجوء إلى التفجيرات الانتحارية لقتل المدنيين مسلمين وغير مسلمين، وارتفاع نبرة الخطاب الديني البعيد عن فقه المآلات من بعض المساجد، التي تنادي بتدمير العالم الغربي حفاظًا على الإسلام، فنجدها تجهر بالدعاء عليه بالهلاك، دون التفرقة بين المحاربين والمعاهدين، كما أن انتشار الصراعات بين المسلمين أنفسهم واستمرار فشل بعض الدول الإسلامية في إدارة شئونها الداخلية

،وغياب العدالة واحترام حقوق الإنسان، وظهور بعض السياح المسلمين والمقيمين في الغرب في مظاهر غير أخلاقية، كل هذا ساعد على نمو النفور من المسلمين عامة.

ولعل كثيرا من التيارات اليمينية في الغرب بصفة عامة لم يجدوا صعوبة في نشر الإسلاموفوبيا لديهم بالنظر إلى هذه الممارسات الخاطئة المنسوبة إلى الإسلام زورا وبهتانا.

ثانيا: مسؤولية الغربيين عن ظهور الإسلاموفوبيا:

و لعل التصرفات الغير مسئولة أيضاً من قبل الغرب تجاه الإسلام والبلاد المسلمة قد أججت هذا التطرف الذي تكلمنا عنه في الفقرة السابقة، فاستعمار الغرب للبلاد الإسلامية قديما ، ونهبها لخيراتها، وحديثا احتلالها لأفغانستان والعراق ،ثم إعلانها حرباً صليبية على البلاد الإسلامية من لسان أكبر دولة في الغرب، وظهور الأفلام والصور الكاريكاتيرية المسيئة لنبي الإسلام عليه الصلاة والسلام، ولا ننسى الدعم الغربي المادي والمعنوي المستميت لإسرائيل ضد الفلسطينيين، كل هذه الظروف أججت نار التطرف في البلاد الإسلامية وفي قلوب المسلمين الذين يوجهون أصابع الاتهام للغرب باستعداء المسلمين، والسعي للاستيلاء على خيراتهم، أضف إلى ذلك ما يعتبره المسلمون ظلماً تاريخياً لهم ولحضارتهم، حيث قامت في الأندلس حضارة إسلامية استمرت ثمانية قرون، لا تزال إسبانيا تفتخر بوجود معالم واضحة لها، وقامت في دمشق وبغداد والقاهرة والقيروان حضارات بلغت إشعاعات نورها أنحاء العالم في عصور كانت أوروبا تتخبط في دياجير الظلام، ثم نفاجأ بخروج الكثير من الإعلاميين الغربيين علينا ليقولوا: إن الغرب لا يدين للحضارة الإسلامية في شيء، هذا الظلم الذي شعر به المسلمون أيضاً قد حول اعتدالهم شيئاً فشيئاً إلى تطرف لا يحبه الغرب ،ولا يريده المسلمون.

مظاهر الإسلاموفوبيا:

بدا واضحا أن ظاهرة الإسلاموفوبيا ووصلت لدى الغربيين إلى مرحلة كادت تنسيهم كثيرا من مبادئهم وشعاراتهم التي طالما أعلنوها، وتبجحوا

بها كخصوصية تميزهم –بزعمهم– عن بقية شعوب العالم، كقيم العدالة، والمساواة، وحقوق الإنسان، والحريات الشخصية في الاعتقاد والتدين والممارسات الخاصة ما دامت لا تعيق الآخرين عن مزاولة حياتهم الاعتيادية.. بل وأنستهم فعلا العهود والمواثيق الدولية التي أبرمت من أجل إحلال الأمن والسلام العالميين..

إن الغربيين خرجوا حقا عن رشدهم فتأثروا بوباء الإسلاموفوبيا ومارسوه في أبشع صوره في عدد من المظاهر، ومنها على سبيل المثال:

1 - تشدد سفارات الدول الغربية في منح تأشيرات الدخول إليها للمسلمين.

2 - الوقوف بشدة ضد مظاهر الحجاب والنقاب، لحد سن القوانين الحاظرة لهذه الظاهرة الدينية البحتة.

3 - عدم التصريح ببناء مآذن للمساجد في سويسرا، وإجراء استفتاء بذلك.

4 - معارضة إقامة مزيد من المراكز الإسلامية كما وقع لمشروع المركز الإسلامي بالقرب من موقع مركز التجارة العالمي بنيويورك.

5 - نشر رسومات كاريكاتورية مسيئة للنبي صلى الله عليه وآله وسلم.

6 - إنتاج أفلام مهينة للإسلام ولشخصية رسوله عليه الصلاة والسلام.

7 - إهانة المصحف الشريف مبالغة في إغاظة المسلمين كجعله علفا للخنازير وتصوير ذلك ونشره بالإنترنت، كما نادى البعض في الولايات المتحدة الأمريكية بحرق المصاحف، بل حرقها أحد القساوسة المتعصبين بالفعل.

8 - نشر صور نمطية لرجال مسلمين ذوى لحى كثيفة، ووجوه متجهمة، أو لنساء مسلمات يتسترن بالكامل وراء ملابسهن السوداء، وربط هذه الصور بموضوعات تتحدث عن الإرهاب.

9 - التحذير من أسلمة أوروبا بهجرة المسلمين إليها وتكاثرهم فيها.

10 -مطالبة بعض الأحزاب اليمينية بطرد المسلمين وإعادتهم إلى بلدانهم.

سبل معالجة الإسلاموفوبيا:

يمكننا التفكير في سُبُل إيجابية وفعَّالة لعلاج ناجع لهذه الظاهرة المتنامية [1] في خطوات يمكن تلخيصها فيما يلي:

1 توظيف قوى العولمة والاتصالات توظيفا إيجابيا يسهل عملية التواصل مع الآخر وتوعيته .

2 إحياء الأجندة القائمة على نشر قيم العدالة الاجتماعية واحترام حقوق الآخرين والأقليات.

3 قيام المسلمين المقيمين في الغرب بدورهم المطلوب مثل تبني بعض البرامج العلمية المنظمة لتوعية المواطن الغربي على نطاق واسع ، بصورة الإسلام والمسلمين الصحيحة.

4-التعاون مع الأقليات المسلمة في الدول الغربية لتأهيل وتدريب أكبر عدد من القادرين على تقديم صورة الإسلام الحقيقية للمواطن الغربي بشكل يومي ومؤسسي منظم.

5-سيسهم العالم الإسلامي في علاج هذه الظاهرة عندما يستطيع أن يضرب المثل والنموذج في تطبيق ما أمر به الإسلام من نظام سياسي يقوم على الشورى والعدل والمساواة والتكافل... وغير ذلك من التعاليم الإسلامية الراقية التي يحتاجها الغرب، ولكنه – للأسف - لا يراها بسبب حالة التأخر التي يعاني منها العالم الإسلامي.

---

(1) انظر: راغب السرجاني :المشترك الإنساني، مؤسسة اقرأ، القاهرة، الطبعة الأولى 2010م، ص116-126.

6-كذلك ستنتهي هذه المشاعر السلبية تجاه المسلمين عندما يستطيع العالم الإسلامي اللحاق بركب التقدم العلمي والاقتصادي، فيفتح مجالات للعمل أمام أبنائه، ويستطيع الاستفادة من طاقاتهم المهدرة عن طريق هجرتهم إلى خارج العالم الإسلامي، لأننا كلما ابتعدنا عن الندية في التقدم والرقي كان اللحاق بالركب أصعب منالا، والوضع الراهن للدول الإسلامية لا يساعد على كسب الاحترام الواجب في المجالات الاجتماعية والاقتصادية.[1]

7-عدم الخلط بين الإسلام من ناحية، والأصولية من ناحية أخرى، لاسيما أن الأصولية المتطرفة هي داء يصيب كل الديانات والمذاهب والإيديولوجيات، وصفحات التاريخ الإنساني مليئة من بدء الخليقة وحتى اليوم بأحداث عنف من كل لون وجنس.

8- على المسلمين وهم يسعون في سياق البحث عن حل لهذه الظاهرة ألا ينسوا أن رجال الغرب ليسوا سواء، فمنهم منصفون يجب رصد جهودهم الفكرية وتوظيفها لتكون منطلقا لفتح باب الحوار الهادف إلى إيجاد متنفس من التعايش السلمي، فهذا الكاتب الأمريكي الكبير مايكل هارت - أستاذ الرياضيات والفيزياء والفلك في هيئة الفضاء الأمريكيَّة، حينما كتب كتابه " الخالدون المائة" - يجعل الرسول الكريم في مُقدمة كتابه، ويمدحه مدحًا مناسبًا، كأعظم رجل في التَّاريخ، ويقول عنه: "لقد اخترت محمدًا في أول هذه القائمة، ولا بد أنْ يدهش كثيرون لهذا الاختيار، ومعهم حق في ذلك؛ ولكنَّ محمدًا هو الإنسان الوحيد في التاريخ الذي نجح نجاحًا مطلقًا على المستوى الديني والدنيوي، وهو قد دعا إلى الإسلام ونشره، كواحد من أعظم الدِّيانات، وأصبح قائدًا سياسيًّا وعسكريًّا ودينيًّا، وبعد ثلاثة عشر قرنًا من وفاته، فإنَّ أثر محمدٍ ما يزال قويًّا متجددًا، لقد كان الرسول على خلاف عيسى - عليه السلام - رجلاً دنيويًّا، فكان زوجًا وأبًا، وكان يعمل في التجارة، ويَرعى الغنم، وكان يُحارب ويُصاب في الحروب ويَمرض، ولما كان الرسول قُوَّة جبارة، فيمكن أنْ يقالَ أيضًا: إنَّه أعظم سياسي عرفه التاريخ - ويضيف -: فهذا الامتزاج بين الدين والدنيا هو الذي جعلني أُومن أنَّ محمدًا أعظم الشخصيات أثرًا في تاريخ الإنسانيَّة كلها" [2]

---

(1) انظر: تقريرا عن المقارنة بين الدخل القومي في الدول الغربية وبعض الدول الإسلامية في الملحق، ص16

(2) محمد رسول الله"، ص57

المبحث الثاني: ظاهرة الإستلاب الثقافي

برز مفهوم الاستلاب في الخطاب المعاصر، وفي الثقافة عموما عندما فتحت المجتمعات الإسلامية أبوابها أمام تدفق المعلومات بشكل طوعي أو قصري، مع عدم قدرة هذه المجتمعات على ملاحقة المعلومة وتصحيحها بما يتناسب مع معطيات الثقافة الإسلامية ، مما أدى إلى أن تكون هذه المجتمعات عرضة لعملية استلاب فكري وثقافي غير مسيطر عليها ، ومن ثم حصول عملية الغزو الثقافي لها ، وفي هذا المبحث نلقي ضوء على هذا الموضوع من عدة زوايا.

أولا:- مفهوم الاستلاب لغة واصطلاحا: الاستلاب لغة: الاختلاس، ومن مرادفاتها: الخطف والنهب والغصب.

والاستلاب الثقافي اصطلاحا:- يعني: **انسلاخ الشخص أو الشعب عن نفسه وخصوصياته الحضارية والأخلاقية والثقافية ليذوب في خصوصيات شخص أو شعب آخر.**

وموضوع الانسلاب أو الاستلاب الثقافي إحدى أساليب الحرب النفسية التي تستخدم أدوات غسيل الدماغ في محاولة مخطط لها وفق هندسة الرأي العام ، ودراسة اتجاهات المجتمع المستهدف ومعرفة قيمه وثوابته وهويته الثقافية تجاه صناعة القبول الجماهيري في عرض يظهر براعة ونجاحا في صرف أنظار الناس عن عمق المشكلات ، وطمس الحقائق وتزييفها ، وتزيينها في أعين الناس لتغيير قناعاتهم.

ثانيا : سمات الاستلاب الثقافي:

1 - شعور عام بالإحباط واليأس ، مع الانقياد لرؤى الجانب القوي دون نظر أو تمحيص .

2 - الرضا بالأمر الواقع دون محاولة إحداث تغيير ايجابي فعال .

3 - الانبهار والانهزام النفسي تجاه الطغيان والقهر الذي يمارسه الطرف القوي .

4 - الشعور بالتبعية الشديدة لحد الخوف من اتخاذ أي قرار ذي بال دون الاعتماد على الغير،كالطفل يخشى الكلام دون أن يسترق النظر من والده خشية العقاب.

5 - الانطلاق من فرضيات مسبقة تفسر الواقع تفسيرا سلبيا يقضي على المبادرة والإبداع (ليس بالإمكان أبدع مما كان.)

6 - غياب الوسطية في السلوك العملي مع الآخر، بغياب القدرة على التوازن في مقاربات الاستفادة من المنجزات الحضارية أيا كان مصدرها ، وعلى المحافظة على الكيان الثقافي للأمة؛ إذ هناك فرق جوهري بين أن تستفيد من إنجازات الآخر وبين أن تغيب ليحضر، وتذوب ليبقى.

7 - فقدان الهوية، وإنكار الذات، والقبول بأن لا حق للمسلم ولا أثر في أي مشاركة في التجاذبات الحضارية التي يعيشها العالم اليوم نتيجة العولمة بكل أبعادها وأشكالها، ومما ويحزنني في هذا المقام الضجة الكبرى التي افتعلت عندما اقترح أحد المصريين مؤخرا علما جديدا لمصر يحمل كلمة التوحيد (لا إله إلا الله محمد رسول الله) فارتفعت الأصوات بالصراخ والعويل من مواطنين مسلمين : صوت يقول: هؤلاء يريدونها دولة رجعية، وآخر يقول: يريدونها دولة وهابية، وثالث يصيح: يريدونها دولة دينية إرهابية!! فكأن هؤلاء يعبرون عما يفترض أنه يدور في خلجات سادتهم الغربيين ، فيتحاشون رد فعلهم حين ترفع في مصر راية من هذا النوع، فأرادوا أن يطمئنوا سادتهم أن لا خوف عليكم نحن بالمرصاد لأي تقهقر أو رجعية ، أو أي تصرف ضد التقدم الحضاري المفصل على مقياسكم! ولولا الإصابة بالانسلاب الثقافي لعلم هؤلاء أن سادتهم لم يبنوا حياتهم العامة بمعزل عن عقيدتهم، وأن أعلامهم مليئة بالرموز الدينية المعبر عن عقائدهم. [1]

(1) انظر: العلم البريطاني، والسويسري، والاسترالي، والدنمركي، والسويدي، والإسرائيلي على سبيل المثال لا الحصر، وحتى علم صليب الأحمر الدولي.

بل حتى أنديتهم الرياضية لم تخل من رفع الشعارات المعبرة عن العقيدة. [1]

ثالثا: الوسائل التي أعانت على إحداث الاستلاب الثقافي:

1 - ظاهرة التركيز على متابعة المسلسلات الغربية، وخاصة المكسيكية ولا يخفى ما تسببه هذه المسلسلات من حالة انسلاب للوعي العقلاني للعائلة المسلمة أو في دفعها نحو التخلي عن عاداتها الأسرية، كاحترام الكبير–خاصة الوالدين– واختيار الألفاظ عند مخاطبتهما، حتى أدت إلى تغيير نمط بناء البيوت ونمط الديكورات والإكسسوارات التي باتت من متطلبات الزوجة التي أثقلت بها كاهل زوجها في ظل ظروف الأوضاع الاقتصادية التي يمر بها معظم دول العالم فضلا عن دول العالم النامي، علما بأن تلك التصميمات والديكورات ليس لها حظ من الحقيقة والواقع، حيث تكون في الغالب بيوتا مستأجرة لتصوير تلك الأفلام، فيظن المسلوب ثقافيا أن ما يشاهده هو الحياة الطبيعية لتلك المجتمعات.

2– مشاهد العنف والقتل التي تتضمنها هذه المسلسلات أدت إلى نزوع الشباب نحو العنف في الحصول على مطالب لا يستطيعون الحصول عليها إلا بالعمل وبذل الجهد، كما أن هذه المسلسلات دفعت الشباب إلى استعمال المخدرات في سبيل نسيان الواقع الصعب المعاش بدلا من محاولة تغيير هذا الواقع والتفكير في طرق سليمة لأجل تحسين حالتهم المعيشية، ومن المؤسف أن إحدى القنوات الأهلية المرئية في بلادنا دأبت على بث الأفلام الأمريكية المترجمة إلى الفرنسية دون انقطاع على مدار اليوم والأسبوع، باستثناء يوم الجمعة حيث تبث فيه برامج دينية هزيلة ومغرضة أحيانا.

4 التقليد الأعمى حتى في وقصات الشعر، ونوع الملابس ووضع الأقراط في الأذن، وهي مظاهر الممثلين ولاعبي الكرة الغربيين ، وهي تداعيات خطيرة وسيئة ومؤثرة سلبا في عملية التنشئة الاجتماعية للمواطن المسلم وبناء أخلاقه.

5 –حالة الانسلاب الثقافي واضحة لدى شباب المسلمين تتمثل في الاعتماد في معرفة وتناقل الأخبار عبر وكالات الأنباء الأجنبية بأدق تفاصيل ما يحدث هناك، وإهمال المصادر المحلية في معرفة أخبار الوطن ، مما يجعل المواطن أقرب إلى فهم ثقافات الآخرين، وتحولاتهم الاجتماعية والسياسية وغيرها.[2]

---

(1) انظر على سبيل المثال شعارات كل من نوادي : انترميلان، وإي سي ميلان الإيطاليين، وريال مدريد، وبرشلونة الإسبانيين.

(2) انظر: صالح خليل أبو أصبع ،قضايا إعلامية ،ط2 2005، بيروت،دار المجدلاوي للنشر : ص283.

البيانات الواردة في تقرير التنمية البشرية في العالم عام 2009م

الدولة	نصيب الفرد من الناتج القومي
النرويج	82 500 دولار
إيرلندا	59 000 دولار
الدنمرك	57 000 دولار
السويد	50 000 دولار
هولندا	47 000 دولار
فرنسا	42 000 دولار
الولايات المتحدة الأمريكية	45 000 دولار
كندا	40 000 دولار
إسبانيا	32 000 دولار
اليمن	1000 دولار
السودان	1100 دولار
مصر	1700دولار
نيجيريا	1800 دولار
أوزبكستان	830 دولار
بنغلاديش	431 دولار
جيبوتي	997 دولار
توجو	380 دولار
النيجر	294 دولار